صيغة (فعيلة) في القرآن الكريم
بين التأويل الاحتمالي والإعجاز البياني

أ.م.د. جنان ناظم حميد
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م. ناهدة غازي
جامعة بغداد / كلية التربية ابن الهيثم للعلوم الصرفة

الملخص:

انطلق البحث نحو التأسيس والبناء ليستبدل بالتأويل الاحتمالي الترجيح وبالتوجيه الجائز التوجيه الارجح، وذلك بالاعتماد على الإعجاز اللغويّ الذي يتمثل بالحفاظ على البناء اللفظي كما هو في المصحف دون القول بأنه محول من بناء آخر وبالحفاظ على وحدة التركيب الذي يشتمل على اللفظة دون القول: إنه تركيب حذف منه لفظ أو زيد فيه آخر، ومن ثم لا مسوغ لهذا الكم من الوجوه التأويلية المتعددة في توجيه دلالة ألفاظ القرآن الكريم الذي هو كتاب واحد، أنزله ربّ واحد، ونزل به ملك واحد، على قلب نبيّ واحد، وألفاظه واحدة موحّدة، يؤدي كلّ منها معنىً واحداً مُبيناً لا متعدِّداً مُريباً، فمن أين ينسل إليها التوجيه المحتمل والجائز؟ وقد اختار البحث لتطبيق فكرته الرئيسة تسعة أمثلة قرآنية، جاءت على بناء فعيلة، وتعدّدت أقوال اللغويين والمفسرين في تلمّس دلالتها، سواء على مستوى اللفظ المفرد أم على مستوى البناء العام. وتلك الأمثلة هي: (بقية وسكينة)، وفيهما وجهان تأويليان، و(والبقية والرهينة) وفيهما ثلاثة أوجه تأويلية و(الزكيّة والبصيرة) وفيهما أربعة أوجه، و(الوسيلة) وفيها خمسة أوجه. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: فعيلة، التأويل الاحتماليّ، الاعجاز البيانيّ.

Formula (Fuaaila) in the Qur'an Al-Kareem between probabilistic interpretable and rhetoric miraculous

Assist. Prof. Dr. Jenan Nadem Hameed

University of Al-Muatansiryia - College of Art,

Instructor Nahida Ghazi Alwan Al-Timimi,

University of Baghdad - College of education for pure science

(Ibn-Al-Haitham)

Abstract:

The research started towards the establishment and construction to replace alongside their probabilistic interpretation hyperbolic and guidance may be intentional guidance. Based on linguistic miracle, which is to preserve the building verbal as it is in the Qur'an Al-Kareem without saying that adapter from another building and maintaining the unity of the installation, which includes a word without saying: It is fitting word to delete it or increase where else.

It is then no justification for this quantum of multiple direct indication of the words of the Qur'an al-Kareem, which is the one book revealed the God is one and came down with one angel on the heart of the Prophet and one his words one uniform each leading one meaning indicating not a multiple suspicious interpretive faces. It is where sneaks it likely direction The permissible? Search has chosen to apply the idea of nine major examples of the Qur'an came to build Fuaaila, colorful sayings linguists and interpreters in touch significance both at the level of a single word or general construction. Those examples are: (rest and tranquility) and the two sides interpretation and (and the rest hostage) and two three aspects of interpretive and (pure and insight) and the two had four faces and (way) and the five aspects. And Praise be to Allah, the God of the Worlds.

Key word: Fuaaila, probabilistic interpretable, rhetoric miraculous.

المقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على نبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد، فيعدُّ تعدد الأوجه في تحليل مسألة لغوية معينة أمراً شائعاً ومألوفاً في درس العربية الذي احتدمت فيه – على اختلاف فنونه –أساليب الجواز وتعدد الأوجه أو الوجوه –أحيانا –في المسألة الواحدة. وكذا احتدمت فيه مسائل الخلاف بينهم في أثناء التحليل، فمنهم من يرى وجهاً معيناً سرعان ما ينقضه آخر، ولذا شاع الجواز في توجيه المسائل، وكثر الأخذ والرد بالترجيح والتضعيف والرفض في التحليل اللغوي.

أمّا المفسرون؛ فلا شكّ أنَّ أحداً منهم عندما يتناول نصّاً ما يفهم منه أمراً لا يخطر على بال آخرين، وهذا الفهم الخاص ينبثق من نظرة المفسر إلى أركان السياق الذي يتشكل فيه معنى الألفاظ، ومن ثقافة ذلك المفسر وتكوينه الفطري والمكتسب، إذ تتحدد – تبعا لذلك –طبيعة تلقي المفسر للنصّ، ومن هنا يتعدد المعنى في نظر المفسر الواحد أو لدى جملة من المفسرين، فيؤدي ذلك إلى تعدّد في التحليل وتجوز في التأويل، إذ يختلف فهم المعنى باختلافهم أنفسهم، أو باختلاف أركان السياق من موضع إلى آخر. وقد تجد بين أوجههم المتعددة ما يُظهر ثقافة كلّ منهم فبين تلك الأوجه الركيك الذي لا يحتاج نقضه إلى عناء كبير، وبينها الرصين الذي تلقفه الآخرون بحفاوة وتقدير. ومن ثمّ زخرت كتب التفسير بالألفاظ القرآنية التي حُملت لدى أهل التأويل والتفسير على عدّة معان تأويلية صرفية، فانتخب البحث سبعة ألفاظ جاءت على صيغة (فعيلة) رأى أنّها كافية لكشف اللّثام عن هذه الظاهرة في أقوال المفسّرين، والأوجه المتعددة التي قيلت في تأويل دلالة هذه الألفاظ تباينت في العدد من لفظة إلى أخرى، فحللها البحث تحليلاً صرفياً بغية الوقوف على الوجه الذي توخّاه التعبير القرآني من بينها، بعد توثيق نسبة تلك الأقوال المتعددة إلى أصحابها من التأويل والتفسير، ثم المفاضلة بينها اعتماداً على الاعجاز البيانيَ الذي لا يتحقق في الأوجه التأويلية كلها، بل في واحد منها تظافرت على إبرازه عدة براهين لغوية منها دلالة البنى الصرفية وسياق القول، فضلا عن سياق المقام. والله ولي التوفيق.

المطلب الأول/ فعيلة ذات الدلالة القطعية:

ورد في التعبير القرآنيّ من أمثلة البناء (فعيلة) واحد وثلاثون لفظة تفاوتت في الاستعمال بين الشائعة والفريدة وأفادت أربع وعشرون لفظة منها دلالات صرفية قطعية، هي:

الأولى: فعيلة اسم ذات مؤنث، ولها مثالان هما:

١-سفينة في قوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [العنكبوت: ١٥] وسميت السفينة السَّفَنُ هو نحت ظاهر الشيء، كَسَفَنَ العودَ، والجلدَ، وسَفَنَ الرّيح التّراب عن الأرض وباعتبار السَّفْنِ سمّيت السَّفِينَةُ. ثمّ تجوّز بالسفينة، فشبّه بها كلّ مركوب سهل(١). وعبر عن سفينة نوح (عليه السلام) تارة بالصفة الغالبة (الجارية) في قوله تعالى {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: ١١] وهي في الأصل صفة للمرأة التي تجري بأمر سيّدها واستعيرت اسما للسفينة للدلالة على جريانها في الطوفان، فكأنه الماء الطاغي (الطوفان) سيد غاضب، فلا حلّ للسفينة إلاّ أنْ تخضع لهذا السلطان فسميت جارية بهذا الملحظ، ولو سميت سفينة أو فلك أو ذات ألواح ودسر كما في سائر تفاصيل القصة، لما تحقق المراد من هذا التقابل التصويريّ بين (طغيان الماء) و(الجارية).

٢-مدينة في قوله تعالى {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٨٢]. واشتقاق المدينة من مَدَنَ بالمكان: أقام به وقد سماها التعبير القرآني في قصة موسى والعبد الصالح مدينة كما في الآية، وقرية في آية أخرى قبلها هي قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف: ٧٧]. وحيث ما يذكر المكان في السياق تذكر المدينة وحين يذكر الناس تذكر القرية، لأنها مشتقة من قَرَيْتُ الماء في الحوض، أي جمعت. واسم ذلك الماء قِرًى بكسر القاف مقصور. وكذلك ما قُرِيَ به الضَيْف (٢).

الثانية: فعيلة اسم مصدر والمراد باسم المصدر هو " ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوّه – لفظا او تقديرا – من بعض ما في فعله دون تعويضٍ كعَطاء فإنّه مساوٍ لإعطاء معنى ومخالف له بخلوّه من الهمزة الموجودة في فعله وهو خالٍ منها لفظا وتقديرا ولم يعوَّض عنها بشيء(٣، ٤، ٥). والفرق بين المصدر واسم المصدر إذا اتّحدت البِنى هو من المصدر يدلّ على الحدث، واسم المصدر يدل على الأثر الحاصل بالحدث. وقد أحصيت ستة أمثلة من أسماء المصدر على وزن فعيلة هي:

١-الحميّة في قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦] وهي اسم مصدر من الحَمْيُ وهي الحرارة المتولّدة النّار والشمس، كقوله عزّ وجل: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: ٣٥] وعبّر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحَمِيَّة(٦).

٢-الخطيئة في قوله تعال: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٨١] وهي اسم مصدر من الخطأ يقال: "من خَطِئَ يَخْطَأُ خطأ وخِطْأَةً، على فِعْلَةً، والاسم: الخَطيئَةُ، على فَعيلة[٧].

٣-الشريعة في قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨] وهي اسم مصدر من قولهم: شَرَعْتُ له طريقا، والشَّرْعُ: مصدر، ثم جعل اسما للطريق النّهج فقيل له: شِرْعٌ، وشَرْعٌ، وشَرِيعَةٌ، واستعير ذلك للطريقة الإلهيّة[٨].

٤-فريضة في قوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً} [البقرة: ٢٣٦] فالمصدر هو الفرض وأصله قطع الشيء الصّلب والتأثير فيه، كفرض الحديد، وفرض الزّند والقوس، ثم استعمل في الحكم لما فيه من قطع وإيجاب كفرض الصلاة أي قطعها وإيجابها على المكلفين واسم المصدر الفريضة ومعناها في الآية اسم للمهر المقطوع الواجب[٩].

٥-وصيّة في قوله تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة ١٨٠] وهي اسم مصدر أصله من قولهم: أرض وَاصِيَةٌ: متّصلة النّبات، ويقال: أَوْصَاهُ ووَصَّاهُ والمصدر الإيصاء والتوصية[١٠].

٦-هدية في قوله تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥] فالمصدر الهداية وتعني دلالة بلطف، والاسم منه الهديّة[١١].

الثالثة: فعيلة اسم جمع، وعليها أربعة أمثلة في التعبير القرآنيّ، هي:

١-البرية في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٦] واختلفوا في تأصيل البرية على مذهبين: الأول: إنّها فعيلة من برأ الله الخلق يبرؤهم برءا إذا خلقهم، وعلى هذا أكثرهم فيكون أصلها (بريئة) فأميتت همزتها بقلبها ياء وأدغمت الياء بالياء والذي يدل على أصها المهموز اللام قراءة بعضهم (بُرَيِّئة) بالهمز، وتصغيرها على (بُريئة) بالهمز أيضاً لأن التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها[١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦]. والآخر: إنها (فعيلة) من البرى وهو التراب[١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤]. وعورض هذا المذهب بأن البرية لو كان اشتقاقها من البرى وهو التراب "لمّا قرأوا البريئة بالهمز، والكلام برأ الله الخلق يبرؤهم ولم يحكِ أحد براهُم يبريهم فيكون اشتقاقه من البرى وهو التراب[٢٥].

٢-العشيرة في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] وهي اسم "لكلّ جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثّر بهم. وَعاشَرْتُهُ: صرت له كَعَشَرَةٍ في المصاهرة، وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ[النساء:١٩]. والعَشِيرُ: المُعَاشِرُ قريبا كان أو معارف"[٢٦].

٣-الفصيلة في قوله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} [المعارج: ١١-١٣] وفَصِيلَةُ الرّجل: عشيرته الْمُنْفَصِلَةُ عنه، قال: وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ[٢٧].

٤-القبيلة، ولم ترد بلفظها المفرد في القرآن الكريم بل بالجمع المكسر (قبائل) كما في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] وجنسها (القَبِيلُ) في قوله تعالى: {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الإسراء : ٩٢] وقَبِيلَةٍ، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض. ومعنى (الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) أي: جماعة جماعة[٢٨].

الرابعة: فعيلة اسم زمان وعليها لفظتان:

١-العشيّة في قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: ٤٦] وجنسها العشيّ في قوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [آل عمران: ٤١]

٢-الظهيرة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور: ٥٨]

الخامسة: فعيلة بمعنى فاعلة صفة للمؤنث (فعيل) بمعنى فاعل ولها أربعة أمثلة هي:

١،٢-صغيرة وكبيرة في قوله تعالى: {وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٢١].

٣،٤-قليلة وكثيرة في قوله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

السادسة: فعيلة بمعنى مفعولة، و(فعيل) ان كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، فلا تفيد التاء تأنيثاً، لأنّه موجود بالصيغة، وإنّما فائدة التاء تخصيص اللفظ بالأسماء وهو ما يعرف

بالنقل، إذ يقال: للصيد يرمى: هذه الرميّة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة والأصل في مثلها ألا تلحقها الهاء نحو: كفّ خضيب، وعين كحيل، إلا إنّهم أجروها مجرى الأسماء لا النعوت كالقصيدة والقطيعة.ومعنى كونها للنقل أنّ اللفظ إذا صار بنفسه اسما لغلبة الاستعمال بعدما كان وصفا كانت اسميتُه فرعا لوصفيته فيشبه المؤنث لكونه فرعا للمذكر، فتُجعل التاء علامة للفرعية كما كانت علامة لها في رجل علامة لكثرة العلم بناء على أنَّ كثرة الشيء فرع. ومجمل أقوال أهل اللغة بشأن هذه التاء انها للنقل إلى الأسماء، وأنّها للتخصيص والإعداد والاتّخاذ، فالذبيحة ليست كالمذبوح، بل هي مختصّة بما يصلح للذبح ويُعَد له من النّعم، أو ما يُتَّخذ للذبح، ذكرا كان أم أنثى، ويجوز أن يقال لها ذبيحة، وكذا الرميّة والضحيّة وغير ذلك[٢٩، ٣٠]. وجمع الدكتور فاضل السامرائي أقوال السابقين كلها في التفريق بين البناءين في أمرين: الاول: إنّ فعيلة تدلُّ على الاسم بخلاف (فعيل) الذي يدل على الوصف، والآخر: إنّ (فعيلة) مختصّة بما اتخذ للفعل و(الفعيل) يدل على ما وقع عليه الفعل او اتصف به[٣١].

١–البهيمة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} [المائدة: ١] والبَهيمةُ اسم لما لا نطق له، وذلك لما في صوته من الإبهام، لكن خصّ في التعارف بما عدا السباع والطير. وليل بَهِيم، فعيل بمعنى مُفْعَل، قد أبهم أمره للظلمة[٣٢].

٢–البحيرة والوصيلة في قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة: ١٠٣] والبحيرة في الإبل مشتقة من بَحرْتُ البعير: شققت أذنه شقا واسعا، ومنه سميت البَحِيرَة وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها، فلا تركب ولا يحمل عليها، وسموا كلّ متوسّع في شيء بَحْراً[٣٣]. وأما الوصيلة ففي الغنم، وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم[٣٤].

٣–النطيحة في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة: ٣]. والنطيحة اسم على فعيلة بمعنى مفعولة وهي " التي نطحتها أخرى فماتت من النطح"[٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠] وكان حقّها لو كانت صفة أن تطرح منها التاء فقد ذكر الصرفيون أن صيغة فعيل إذا كانت بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث إن ذكر الموصوف معها[٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥]، فيقال: رجل جريح وامرأة جريح ولا يقال جريحة، ويقال رجل رحيم وامرأة رحيمة ولا يقال امرأة رحيم؛ لأن رحيم بمعنى فاعل لا مفعول. وعلة استواء المذكر

والمؤنث في هذه الأمثلة هي إن فعيل معدول عن مفعول فنحو كف خضيب" كان ينبغي أن يقال: كف مخضوبة ... فصرف إلى فعيل وطرحت الهاء منه ليكون فرقا بين ما هو مفعول به وبين ما له الفعل ألا ترى أنّ قولك: كف خضيب معناه كف خضبت"[٤٦، ٤٧، ٤٨]. وعزي إلى الكوفيين أنهم وجهوا اقتران النطيحة بالتاء بأن شرط طرح تاء النطيحة لم يتحقق وهو العلم بالموصوف ولما لم يذكر الموصوف مع النطيحة ثبتت تاؤها ليعلم أنها في الأصل صفة لموصوف مؤنث[٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣] وردّ هذا التوجيه بان الموصوف معلوم وإن لم يذكر ولا لبس فيه [٥٤].

٤-الوَلِيجَةُ في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٦] وهي اسم لكلّ ما يتّخذه الإنسان معتمدا عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلان وَلِيجَةٌ في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم، إنسانا كان أو غيره[٥٥].

٥-الكبيرة في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥] وهي هنا اسم للذنب العظيم وليس صفة على فعيلة إذ المعنى: أنَّ الصلاة التي معها الإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله) كبيرة تكبر على الكفار وتعْظُمُ عليهم أما الخاشع المتواضع المطيع المجيب فلا يبالي برياسة كانت له مع كفرٍ إذا انتقل إلى الإيمان[٥٦]. وكذا ما في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣]

فالقِبْلَة هي بيتِ المقدس والمعنى أَنَّ اتباعها لكبيرة على غير المخلصين، فأما الذين أخلصوا وهداهم الله تعالى، فليست بكبيرة عليهم[٥٧]. ويمكن الفريق بين الكبيرة صفة والكبيرة اسما بالجمع فما كان صفة يجمع على فعال فيقال نساء كبار في السن أو القدر معا، وفِعال جمع لفعيل وفعيلة معا إن كانا وصفين كالسمان والعجاف في قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} [يوسف: ٤٣] وأما فعيلة الاسم، فيجمع على (فعائل)، فيقال للذنوب الكبيرة (كبائر) وللصغيرة (صغائر) كما في قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: ٣٧] وبهذا الملحظ يمكن التفريق بين (الخليفة والخليف) فالخليفة يجمع على (خلائف) كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} [فاطر: ٣٩] والخليف يجمع على (خلفاء) كما في قوله تعالى:{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢] فالخلائف جمع للاسم (خليفة) وهو اسم يصدق على كل إنسان من ولد آدم كافة ذكورهم وإناثهم برهم وفاجرهم لأن (الخليفة)

الاسم يدل في أصل الوضع على كل من يخلف أباه وخصص في العرف لاحقا بمن يخلف الحاكم. ولذا تجد الكفر حاضرا في سياق الخلائف لدلالته على عموم الناس كافرهم ومؤمنهم، وتجد التفاضل والابتلاء والثواب والعقاب واضحا في سياقهم كما في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ١٦٥].

وأما الخلفاء فجمع للصفة (خليف) وهو للذكور خاصة وهم بعض الخلائف بل صفوتهم المنتخبون من الله تعالى للحكم والرياسة وولاية الأمر ولذا لم يذكر الخلائف في التعبير القرآني إلا في موضع اصطفاء فئة من الناس بعد هلاك قوم آخرين قبلهم كقوله تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: ٦٩] {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف : ٧٤]

وبهذا الفرق الدلالي يفهم اعتراض الملائكة على (جعل الله خليفة في الأرض) فثمة روايات كثيرة تشير إلى أَنَّ الإنسان لم يكن وحده في هذه الأرض، فهناك مخلوقات أخرى قبله سكنت الأرض، وعاثت فيها فساداً، فكان بحسبان الملائكة أَنَّ (الانسان الخليفة) سيكون على شاكلة من قبله، وهذا ما حصل فعلاً، فالتعبير القرآنيّ قسم البشرية منذ الخليقة على صنفين: الغاوين وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس والمخلصين، وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء. وفي مشهد آخر منها إنما أنكر الملائكة جعل الخليفة في الأرض، لأنهم بحسبانهم أنه جعل أبدي لا ابتلائي، فقال تعالى{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٣٠] أي إِنَّ الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:٦٤] وعندما يجيب الله المضطر، ويكشف السوء من الأرض لن تجد فيها إلا الخلفاء لا الخلائف، فقال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢] لأن الخلائف جمع للغاوين والمخلصين معاً، والخلفاء للمخلصين منهم خاصة.

المطلب الثاني/ فعيلة ذات الدلالة الاحتمالية الثنائية: وعليها لفظتان؛

الأولى: الطريقة في قوله تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: ١٦] وفي دلالة هذه الآية خلاف كبير بين أهل التأويل والمفسّرين يمكن بيانه بما يأتي:

١- من المخاطب بهذه الآية؟ الجنّ أم الإنس.

٢- هل الواو عطف على ما سبق أم هي استئناف حكم جديد.

٣- علام يعود ضمير الجمع في (استقاموا)، على الجن أم على الإنس أم على كليهما؟

٤- ما المراد بالطريقة هل هي طريقة الكفر أم طريقة الإسلام، وإن كان المراد بها طريقة الإسلام فأي مدلول إسلامي يمكن أن تحمل عليه اللفظة؟ وكيف يؤول مجمل التعبير القرآني مع كل وجه من الأوجه الكثيرة التي ذكرت لتأويل معنى الطريقة.

وبعد هذا تعدد الأوجه التأويلية الصرفية في بيان مدلول اللفظة تبعا لتعدد المعاني التفسيرية التي ساقوها للفظة (الطريقة)، ومجمل ما ذكروه في تأويلها محصور في وجهين:

الأول: الطريقة اسم جنس عام في كل سبيل واضح بمعنى " الطريق: ولعلها خاصة بالطريق الواسع الواضح ... والاستقامة على الطريقة تمثيل لهيئة المتصف بالسلوك الصالح والاعتقاد الحق بهيئة السائر سيراً مستقيماً على طريقة، ولذلك فالتعريف في {الطريقة} للجنس لا للعهد"[٥٨]. وهذا غريب أن يكون المراد بالطريقة جنسا لأنها ليست محمودة على كل حال فلم ينفعها التعريف تخصيصا ولا رقيا كما في قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} [طه: ٦٣].

الثاني: الطريقة اسم مصدر اختلفوا في مصداقه على ثلاثة أقوال:

١-أن تكون الطريقة اسم مصدر الهدى أو الحق أو الإسلام أو الإيمان بالله على اختلاف في التقدير بين أهل التأويل، ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعطاء، والسدي وغيرهم[٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣]. إذ ذكروا أنّ الآية نزلت في كفار قريش، حين مُنعوا المطر سبع سنين. فيكون الضمير في (استقاموا) عائدا إليهم، والمعنى: أن لو آمن المشركون واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء[٦٤]. وجاء ذكر الماء كناية عن الرزق الوفير فأينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، أي إن {لأسقيناهم ماء غدقاً} كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش. وقال بعضهم: "المال حيث الماء"[٦٥، ٦٦، ٦٧]. وهذا كقوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٦] وكقوله: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]. وعلى هذا يكون معنى {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لنختبرهم كيف يشكرون نعمة الله عليهم(٦٨، ٦٩، ٧٠). ولنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه، وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة، والمثوبة تكون على قدر المشقّة في الصبر عما تدعو إليه الشهوات(٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤).

وجوز آخرون منهم الزجاج أن يكون ضمير (استقاموا) عائدا على الجن القاسطين، والمعنى: لو استقامَ إبليس (أبو الجانّ) على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعتِه، ولم يتكبرْ عن السجود لآدمَ (عليه السَّلامُ)، ولم يكفر، وتبعه ولدُه في الإسلامِ، لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقَهم. ونظيره قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكتاب ءامَنُواْ واتقوا} [المائدة:٦٥] وقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التوراة والإنجيل وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مّن رَّبّهِمْ لأَكَلُواْ} [المائدة:٦٦] وقوله: {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ} [الطلاق:٢،٣]. والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولأعطيناهم ماءً كثيراً وعيشاً رغداً. وإنما ذكر الماء الغدق كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع، لأنَّ الخير والرزق كله أصله من الماء وقوله (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه(٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨). واستظهر الرازي وغيره أن يكون المراد بالضمير في (استقاموا) هم الإنس، واحتج "عليه بوجهين أولهما: أنّ الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن والثاني: أن هذه الآية إنما نزلت بعدما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنّه لما كان ذلك معلوماً جرى مجرى قوله: {إِنَّا أنزلناه في لَيْلَةِ القدر} [القدر: ١]"(٧٩، ٨٠).

٢–أن تكون الطريقة اسم مصدر بمعنى الكفر والضلالة والمراد لو كفر من أسلم من الناس {لأسقيناهم} ماء غدقا إملاء لهم واستدراجاً، وهذا اختيار الفراء الذي عضد رأيه بقوله تعالى: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}، يعنى أبواب الرزق والمطر وهو الخير في الدنيا لنفتنهم فيه(٨١). وعزي إلى ثعلب مشايعته الفراء في أن معنى الآية هو " لو استقاموا على طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغْترارٍ كقوله تعالى لَجَعَلْنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة"(٨٢). وهذا الوجه مروي – أيضا–عن طائفة من أهل التأويل. والضمير في {استقاموا} عائد على قوله {من أسلم} [الجن:١٤]. والخطاب للمشركين والمعنى أنهم لو استقاموا على طريقة الكفر وكانوا كفارا كلهم لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف واستدراجا لهم لذلك قال (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم بذلك عقوبةً لهم واستدراجًا حتى يفتتنوا بها فنعذّبهم(٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢).

واختار الزجاج تأويل الاستقامة بالهدى والحق لا الكفر والضلال، لأنه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالألف واللام، فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى[٩٣، ٩٤، ٩٥]. واستظهر الطبرسي أن "الأولى أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والإيمان، لأنها لا تطلق إلا على ذلك، ولأنها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الإيمان والحث على الطاعة"[٩٦]. واعتمد ابن عطية – في رده هذا الوجه –على ما نُقل عن قتادة وابن جبير وابن عباس ومجاهد أنّ الضمير عائد على (القاسطين). والاستقامة على طريقة الإسلام والحق والفتنة نعمة عليهم، وهذا المعنى نحو قوله تعالى: {ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم} [المائدة:٦٥]، وقوله تعالى: {لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} [المائدة: ٦٦]. وهذا القول أبين، لأنَّ استعارة الاستقامة للكفر قلقة[٩٧]. والاستقامة لغة هي الاستمرار في جهة العلو. والمستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب. والمعنى –ههنا –في قول أكثر المفسرين: إنه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى، استمروا عليها، وعملوا بموجبها، لجازاهم على ذلك بأن أسقاهم ماء غدقا[٩٨، ٩٩]. فالضمير في استقاموا يعود إلى الثقلين، أي لو استقام الإنس والجن على طريقة الإيمان، فهذا أظهر من أن يقال: إن المراد هو طريقة الكفر والخطاب للكافرين؛ لأن المفهوم من مدلول الاستقامة يأبى هذا التأويل، ولذا رفض ابن عاشور مذهب الفراء، ولم ير حجة له في عود الضمير على القاسطين من الجن، فيكون المطلوب استقامتهم على طريقة الكفر، ذلك أنَّ الضمير في {استقاموا} يجوز أن يعود إلى القاسطين بدون اعتبار القيد بأنهم من الجن، وهو من عود الضمير إلى اللفظ مجرداً، كقولك: عندي درهم ونصفه، أي نصف درهم آخر. ويجوز أن يكون عائداً إلى غير مذكور في الكلام ولكنه معروف من المقام إذ السورة مسوقة للتنبيه على عناد المشركين وطعنهم في القرآن، فضمير {استقاموا} عائد إلى المشركين، وذلك كثير في ضمائر الغيبة التي في القرآن، ولا يناسب أن يعاد على القاسطين من الجن إذ لا علاقة للجن بشرب الماء. والاستقامة على الطريقة: استقامة السير في الطريق وهي السير على بصيرة بالطريق دون اعوجاج[١٠٠]. والاستدلال بآية (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) بعيد عن هذا لأنها مخصوصة بقوم أهلكوا من حيث لا يشعرون، فضلاً عن أنَّ لفظة الكل هاهنا المراد بها التكثير دون العموم، مثل قوله تعالى: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها). وفي هذا الوجه جوز آخرون عود ضمير الاستقامة على الجن، والمعنى: لو استقام الجن الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق، استدراجاً لنوقعَهُم في الفتنةِ ونعذبهم في كُفرانِ النعمةِ ونظيره قوله تعالى: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً

مّن فِضَّةٍ} [الزخرف : ٣٣] فيكون معنى {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} كقوله : {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً} [آل عمران : ١٧٨][١٠١، ١٠٢].

ولم يجد الرازي في الآيتين دليلاً يعضد كون المراد بالضمير هم الجن، والطريقة هي كفرهم، والفتنة هي استدراج لهم، ذلك إنّ " من آمن فأنعم الله عليه كان ذلك الإنعام أيضاً ابتلاء واختباراً حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا، وهل ينفقه في طلب مراضي الله أو في مراضي الشهوة والشيطان... وههنا يكون إجراء قوله: {لأسقيناهم مَّاء غَدَقاً} على ظاهره أولى لأن انتفاع الإنس بذلك أتم وأكمل"[١٠٣، ١٠٤].

٣–أن تكون الطريقة اسم مصدر بمعنى الولاية، والمراد بها ولاية أهل البيت، ففي تفسير على بن إبراهيم المعروف بالقمي بإسناده إلى عبادة بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) في قول الله عزّ وجلّ: فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا أي الذين أقرّوا بولايتنا فأولئك تحروا رشداً، واما القاسطون، فكانوا لجهنم حطبا، معاوية وأصحابه، وان لو استقاموا على الطريقة، لأسقيناهم ماءً غدقاً الطريقة الولاية لعلى (عليه السلام)[١٠٥]. وود مثل هذا الخبر في أصول الكافي عن أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى عن موسى بن محمد عن يونس بن يعقوب عمن ذكره عن أبى جعفر (عليه السلام) في قول الله: (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) قال: يعنى لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين عليّ والأوصياء من ولده (عليهم السلام) وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم "لأسقيناهم ماء غدقا" يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية على والأوصياء. وجاء في متشابه القرآن لابن الحجام عن أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن مسلم، عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: (وَأَنْ لَو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، قال: "يعني على الولاية". ومعنى الفتنة هو الاختبار وهو المعنى اللغويّ لها لا العرفيّ، إذ يقال: فتنت الذهب بالنار لمعرفة جيده من زائفه، والمراد في الآية اختبراهم في الدنيا كي يتبين الموالي من المعاند. أو هو ابتلاء لهم، من يستمر على الولاية ومن يرتد إلى الغواية؟ وجاء في مجمع البيان " عن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام قول الله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال: هو والله ما أنتم عليه (وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)[١٠٦، ١٠٧]. وفي هذا الوجه الضمير راجع إلى الإنس وتم الخبر عن الجن، ثم رجع إلى خطاب الإنس فقال تعالى: {وأن لو استقاموا} يعني أهل مكة من مسلمين وكافرين على موالاة العترة الطاهرة {لأسقيناهم ماء غدقاً} وهو كناية عن سعة الرزق ووفرة الخير. ولم يستبعد الطباطبائي "أن يستفاد من السياق أن قوله: "لأسقيناهم ماء غدقا" مثلٌ أريد به التوسعة في الرزق،

ويؤيده قوله بعده: "لنفتنهم فيه ". والمعنى: وأنه لو استقاموا أي الجن والإنس على طريقة الإسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لنمتحنهم في رزقهم، فالآية في معنى قوله: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"(١٠٨).

وهذا القول هو الصواب، لأن الطريقة معرفة بالألف واللام، وهذا هو تعريف العهد وهي طريقة الهدى والاستقامة لا تكون مع الكفر بل مع الهدى المشار إليه في الآية {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢] والقول بأن الآية في الإنس أولى، لأنَّ الإنس هم الذين ينتفعون بالغيث فضلاً عن أنَّ تتمة الآيات متعلقة بالإنس كما في {ومن يعرض عن ذكر ربه} أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه {يسلكه} أي يدخله {عذاباً صعداً} أي عذابا شاقاً أو عذاباً لا راحة فيه(١٠٩). ونقل الرازي عن القاضي: الأقرب أن الكل يدخلون فيه، أي إنَّ كلا من الجن والإنس مدعوون إلى الاستقامة كي يسقوا الماء الغدق(١١٠).

ويبدو أن أبين من تلمّس معناه هو الطاهر ابن عاشور الذي رأى أن: {لأسقيناهم ماء غدقاً} وعد بجزاء على الاستقامة في الدّين جزاءً حسناً في الدنيا يكون عنواناً على رضى الله تعالى وبشارة بثواب الآخرة قال تعالى: {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [النحل: ٩٧]. وقد كانوا يوم نزول هذه الآية في بحبوحة من العيش، وفي نخيل وجنات، فكان جَعْل ترتُّب الإسقاء على الاستقامة على الطريقة كما اقتضاه الشرط بحرف {لو} مشيراً إلى أن المراد: لأدَمْنا عليهم الإسقاء بالماء الغَدَق، وإلى أنهم ليسوا بسالكين سبيل الاستقامة، فيوشك أن يُمسك عنهم الري، ففي هذا إنذار بأنهم إن استمروا على اعوجاج الطريقة أمسك عنهم الماء. وبذلك يتناسب التعليل بالإفتان في قوله: {لنفتنهم فيه} مع الجملة السابقة، إذ يكون تعليلاً لما تضمنَه معنى إدامة الإسقاء، فإنه تعليل للإسقاء الموجود حين نزول الآية، وليس تعليلاً للإسقاء المفروض في جواب {لو}، لأن جواب {لو} منتففٍ فلا يصلح لأن يُعلل به، وإنما هم مفتونون بما هم فيه من النعمة فأراد الله أن يوقظ قلوبهم بأن استمرار النعمة عليهم فتنة لهم فلا تغرنهم. فلام التعليل في قوله: {لنفتنهم فيه} ظرف مستقر في موضع الحال من {ماء غدقاً} وهو الماء الجاري لهم في العيون، ومن السماء تحت جناتهم، وفي زروعهم فهي حال مقارنة. وبهذا التفسير تزول الحيرة في استخلاص معنى الآية وتعليلها.

ومما يعضد كون الماء الغدق غير محصل حتى الساعة أن التعبير القرآني ذكر معه الإسقاء لا السقي وقد ذكر أنَّ الفرق بين سقى وأسقي، يتجلى في أمرين أولهما أنَّ السقي لما لا كلفة فيه ولهذا ذكر في شراب الجنة نحو وسقاهم ربهم شراباً –والثاني لما فيه كلفة ولهذا ذكر في ماء الدنيا نحو لأسقيناهم ماء غدقاً. والآخر أنَّ "الإسقاء أبلغ من السقي، لأن الإسقاء أن تجعل له ما يسقي

منه ويشرب، والسقي أن تعطيه ما يشرب"[١١١]. واضح أن سياق الآية يفصح عن إن الماء الغدق لم يظفر به آدمي في الدنيا حتى الساعة لأن التعبير القرآني جاء مصدرا بـ(لو) الشرطية الدالة على امتناع شيء لامتناع غيره فالماء الغدق ممتنع عنهم لامتناع استقامتهم على الطريقة التي تعددت أقوالهم في بيان معناها. وما ذكروه في إعراب الآية يعضد التأويل المختار إذ ذكروا أن كل ما كان في هذه السورة من (أن) المثقلة فهي حكايةٌ لقول الجن الذين سمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من (أن) المفتوحة المخففة فهي وحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وجوزوا في العطف وجهين الأول: على تقدير: {أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ... وَأَلَّوِ استقاموا} وفي هذا الوجه يضمر يمينا، وتأويلها: والله أن لو استقاموا على الطريقة، كما قال الشاعر:

أَمَا – واللَّهِ–أن لَوْ كُنْتَ حُرّاً   ومَا بالحُرِّ أَنْتَ ولا العَتِيقِ

والآخر: على تقدير (آمنا به وبأن لو استقاموا) ويستغنى عن إضمار اليمين[١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥].

وأما معمولا (أنْ) المخففةُ من الثقيلةِ؛ فاسمها ضمير الشأن وخبرها {لو استقاموا} إلى آخر الجملة، والمَعْنى وأُوحيَ إليَّ أنَّ الشأنَ لو استقامَ الجِنُّ والإنسُ أو كلاهُما[١١٦]. وإنما جيء ب {أن} المفتوحة الهمزة لأن ما بعدها معمول لفعل {أوحي} فهو في تأويل المصدر، والحرف (لو) يفيد امتناع شيء لامتناع غيره. فيكون سبك الكلام: أوحي إليَّ إسقاءُ الله إياهم ماء في حال استقامتهم. أي إنهم قد منعوا الماء الغدق لعدم استقامتهم[١١٧].

الثانية: السكينة، في قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٤٨] وفيها وجهان صرفيان:

الأول: السكينة مصدر بمعنى السكون والطمأنينة، ففي تفسير مقاتل السكينة "يعني الطمأنينة" وعن قتادة: "السَّكِينَةُ" هي: الوَقارُ"[١١٨، ١١٩]. وقيل: "السكينة الرحمة"[١٢٠]. ويظهر ضعف هذا أوجه من سياق التعبير القرآني الذي صدح بأن السكينة جوهر لا معنى، وبهذا الملحظ ضعف ابن عطية عود ضمير السكينة على أبي بكر في قوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠] بحجة أن النبي الأكرم ساكن النفس مطمئن القلب لثقته بالله بخلاف أبي بكر الذي طمأنه الله وأسكن خوفه ، إذ علق ابن عطيه بهذا التفسير قائلا: "هذا قول من لم ير السكينة إلا سكون النفس والجأش، وقال جمهور الناس الضمير عائد على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا

أقوى، والسكينة عندي إنما هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم كقوله تعالى "فيه سكينة من ربكم" ويحتمل أن يكون قوله " فأنزل الله سكينته " إلى آخر الآية يراد به ما صنعه الله لنبيه إلى وقت تبوك من الظهور والفتوح لا أن تكون هذه الآية تختص بقصة الغار والنجاة إلى المدينة، فعلى هذا تكون الجنود الملائكة النازلين ببدر وحنين"(١٢١).

الثاني: السكينة اسم مصدر، واختلف أهل التأويل في المصداق فعن عليّ (عليه السلام) أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان" وقيل: هي رُوحٌ مِنَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ إِذَا اخْتَلَفُوا مِنْ شَيْءٍ تَكَلَّمَ فَأَخْبَرَهُمْ بِبَيَانِ مَا يُرِيدُونَ. وعن مجاهد لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ وَجَنَاحَانِ(١٢٢). وقيل: بل هي رأس هرّة ميتة. وقيل هي طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأنبياء(١٢٣، ١٢٤).

ووفق الطبري بين أقوال أهل التأويل هذه، فخلص إلى أنّ "السكينة في كلام العرب (الفعيلة)، من قول القائل: سكن فلان إلى كذا وكذا إذا اطمأنّ إليه، وهدأت عنده نفسه، "فهو يسكن سكونا وسكينة"، مثل قولك:" عزم فلان هذا الأمر عزما وعزيمة"، و"قضى الحاكم بين القوم قضاء وقضية"

وإذا كان معنى " السكينة" ما وصفت، فجائز أن يكون ذلك على ما قاله علي بن أبي طالب على ما روينا عنه، وجائز أن يكون ذلك على ما قاله مجاهد على ما حكينا عنه، وجائز أن يكون ما قاله وهب بن منبه وما قاله السدي؛ لأنَّ كلَّ ذلك آيات كافيات تسكن إليهن النفوس، وتثلج بهن الصدور. وإذا كان معنى "السكينة" ما وصفنا، فقد اتّضح أن الآية التي كانت في التابوت، التي كانت النفوس تسكن إليها لمعرفتها بصحة أمرها، إنما هي مسماة بالفعل وهي غيره، لدلالة الكلام عليه"(١٢٥).

ولذا شايع فرق من المفسرين(١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠) من ذوي الاتجاه اللغويّ الطبريّ في اختياره تفسير السكينة والبقية بأنهما دالين على اسمين حقيقيين في التابوت، وأنّ السكينة فعلية مِنَ السُّكُونِ، وَهُوَ ضِدُّ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مَصْدَرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الِاسْمِ، نَحْوُ: الْقَضِيَّةُ وَالْبَقِيَّةُ وَالْعَزِيمَةُ.والتعبير القرآني في آية البقرة يدل على أن البقية اسم ذات؛ لأنّها في التابوت الذي هو وعاء لها وللسكينة، فالتعبير {فِيهِ سَكِينَةٌ} يدل على كون التابوت ظرفاً للسكينة وعطف عليه قوله: {وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءالُ موسى} فكما أن التابوت كان ظرفاً للسكينة وجب أن يكون ظرفاً للبقية أيضاً(١٣١).

المطلب الثالث/ فعيلة ذات الدلالة الاحتمالية الثلاثية: وعليها لفظتان:

الأولى: بقيّة، في قوله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} هود ١١٦ ، وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٤٨]. وللمفسرين ثلاثة أوجه في تأويل دلالة البقيّة كلّها أقرّت تحوّلها من غيرها، فضلا عن تقدير محذوف في تركيبها عند إعرابها، تلك الأوجه هي:

الأول: أن تكون البقية محوّلة من اسم فاعل بمعنى باقية والتاء فيها للنقل إلى الأسماء وهي صفة لموصوف محذوف والتقدير في الآيتين: ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل، وذوو خصلة باقية مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ[١٣٢، ١٣٣].

الثاني: أن تكون البقية صيغة مبالغة على فعيلة بمعنى القيام بفعل البقاء على وجه الكثرة، وهي صفة لموصوف محذوف والتقدير في الموضعين: فئة بقيّة أي بالغت في البقاء، فبقية فعيلة بمعنى المبالغة[١٣٤، ١٣٥].

الثالث: أن تكون البقية مصدرا وفيه قولان: أولهما أن تكون مصدرا للثلاثي (بقي) بمعنى البقاء، وهذا وجه ذكره الزمخشري الذي رأى أنّ قياس المصادر يستدعي أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى، لكن لم يسمع البقوى بل البقاء، وبه فسرت البقية، ومعنى (فَلَوْلاَ كَانَ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ): فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه فحذف المضاف (ذوو) وأقيم المضاف إليه مقامه. وأما معنى (التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ): التابوت فيه طمأنينة لكم وبقاء[١٣٦، ١٣٧، ١٣٨]. والآخر: أن تكون البقية مصدرا من الرباعي المزيد بالهمزة (أبقى) فهم بقية بمعنى الإبقاء عليهم في الآيتين والمعنى في هود: فهلا كان منهم ذوو إبقاء لأنفسهم وصيانة لها عما يوجب سخط الله تعالى وعقابه، وفي البقرة: التابوت فيه اطمئنان لكم وإبقاء لما ترك أسلافكم[١٣٩، ١٤٠]، والعرب يقولون عند طلب الكفّ عن القتال: ابقوا علينا، قال الأعشى:

قَالُوا البقيّةَ ، وَالهِنْدِيُّ يَحصُدُهم   وَلا بَقِيّةَ إلاّ النّارُ، فَانْكَشَفُوا

وعُضد تأويل البقية بالمصدر في الوجهين السابقين أنها قرئت {بَقْيَة}[١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤] فهذا مصدر مرّة على وزن فَعلة من بقاه يبقيه كرماه يرميه بمعنى انتظره وراقبه، ومعنى القراءة: فهلا كان منهم

ذوو مراقبة لخشية الله تعالى وانتقامه، ومنه ما في الحديث عن معاذ بن جبل في قوله: "بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأخر صلاة العشاء حتى ظن الظان أنه ليس بخارج" أي: انتظرناه (صلى الله عليه وآله) وأما فعل البقاء الذي هو ضد الفناء ففعله بقي يبقى كرضى يرضى[١٤٥، ١٤٦].

والتعبير القرآني في آية البقرة يدل على أن البقية اسم ذات، لأنّها في التابوت الذي هو وعاء لها وللسكينة، فالتعبير {فِيهِ سَكِينَةٌ} يدل على كون التابوت ظرفاً للسكينة وعطف عليه قوله: {وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءالُ موسى} فكما أن التابوت كان ظرفاً للسكينة وجب أن يكون ظرفاً للبقية أيضا[١٤٧].

وقد نقلت طائفة من المفسرين عن الصحابة الأوائل تفسيرهم السكينة والبقية بأنهما دالين على اسمين حقيقيين في التابوت، إذ قال الزمخشري: والسكينة "قيل: هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت، لها رأس كرأس الهرّ وذنب كذنبه وجناحان، فتئن فيزف التابوت نحو العدوّ وهم يمضون معه، فإذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النصر، وعن عليّ رضي الله عنه: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة {وَبَقِيَّة} هي رضاض الألواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة"[١٤٨، ١٤٩]. وأما في آية سورة هود فيبدو أن البقية في (أولوا بقية) كناية عن " الفضل والخير وسمّي الفضل والجودة بقيّة لأنّ الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل"[١٥٠] فالبقية اسم للفضل، على سبيل الاستعارة من البقية التي يصطفيها المرء لنفسه ويدخرها مما ينفعه، ومن هنا يقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم[١٥١] وإنما قيل: بقية، لأنّ الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها، ثم لا تزال تضعف، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول[١٥٢، ١٥٣، ١٥٤].

الثانية: رهينة في قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلاَّ أصحاب اليمين} [المدثر: ٣٨-٣٩] وفي تأويل دلالة الرهينة وبيان سبب اقتران التاء بها ستة أقوال، حمل اثنان منها اللفظة على التحول الصرفي وأغرق ثلاثة منها في الاعتباط اللغوي، تلك الأقوال هي:

الأول: ذهب الطبري إلى أنّ رهينة بمعنى مرهونة أو مرتهنة، فهي فعيل بمعنى مفعول[١٥٥]، والمعنى: كلّ نفس مأمورة ومنهيّة بما عملت من معصية الله في الدنيا، أي محبوسة عند الله تعالى بكسبها، (إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) فإنهم غير مرتهنين، ولكنهم فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ[١٥٦، ١٥٧، ١٥٨]، وأصل الرهن في كلام العرب يدلّ على الحَبس، فالمرهون محبوس بيد الدائن إلى أن يستوفي دينه[١٥٩]. وكان ينبغي طرح التاء منها، لأنّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح؛ لكنّها هنا لم تتبع موصوفاً اصطلاحياً فكأن التاء فيها

لتأنيث اللفظ[١٦٠، ١٦١]. وقيل شذّ اقتران الرهينة بالتاء؛ لتوافر شروط حذفها، وهي مجيء الرهينة بمعنى المفعول، وذكر الموصوف قبلها وهو النفس[١٦٢]. وذهب ابن عطية إلى أن تاء الرهينة للمبالغة فهي كتاء علامة ونسابة ونابغة وراوية وغير هذه من صفات الذكور التي لم تفدها التاء تأنيثا بل مبالغة[١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦].

وفي المراد بـ (كل نفس) والاستثناء الذي بعده (إلا أصحاب اليمين) وجهان[١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠]؛ أحدهما: أن يكون المراد بهم أهل النار فإنّهم مرتهنون فيها، وأما المؤمن؛ فلا يكون مرتهناً، فيكون الاستثناء متصلا إذا المراد بهم المسلمون الخالصون الصالحون، فإنَّهم فكُّوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يخلِّص الراهن رهنه بإيفاءِ الحق. وهذا قول مجاهد. والآخر المراد بهم عموم الناس المكلفين فكل أحد مكلف مرهون عند الله بالكسب فإن كسب خيراً فك رقبته وإلا أربق بالرهن. أي عن الرهن عام في حق كل أحد، فيكون الاستثناء منقطعا، والمراد بأصحاب اليمين الأطفال وهو قول عليّ (عليه السلام) لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها. ووصف الفراء تأويل أصحاب اليمين بأطفال المسلمين بأنه أشبه بالصواب لوجهين؛ الأول: لأن الولدان لم يكتسبوا إثماً يرتهنون به والثاني: أنه تعالى ذكر في وصفهم، فقال: {في جنات يَتَسَاءلُونَ عَنِ المجرمين مَا سَلَكَكُمْ في سَقَرَ} [المدثر:٤٠-٤٢] وهذا إنما يليق بالولدان، لأنهم لم يعرفوا الذنوب، فسألوا المذنبين {مَا سَلَكَكُمْ في سَقَرَ}[١٧١، ١٧٢].

الثاني: جوّز الرازي أن تكون الرهينة بمعنى الفاعل لا المفعول ولذا اقترنت بها التاء قياسا على النظائر من صفات الإناث كرحيمة وكريمة، والتقدير في هذه الآية كل نفس راهنة أي ثابتة مقيمة وفي {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور:٢١]: كل أمرئ بما كسب راهن أي دائم، إن أحسن ففي الجنة مؤبداً، وإن أساء ففي النار مخلداً[١٧٣]. ولا يظهر معنى الفاعلية بنوعيها القيام بالفعل أو الاتصاف به في تأويل (الرهينة والرهين) في التعبير القرآني.

الثالث: أن يكون الرهينة اسم مصدر على فعيلة بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم والهاء فيه جزء من بناء المصدر فلا يسأل عن زيادتها، وهذ رأي الزمخشري الذي ذكر أنّ الرهينة ليست بتأنيث رهين لأنّ فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فلا يقال في وصف المؤنث: رهينة، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، ومنه قول عبد الرحمن بن زيد وقد قُتل أبوه وعرض عليه سبع ديات فأبى أن يأخذها.

أبَعْدَ الَّذي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيكِبٍ رَهِينَةِ رَمْس ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتل

كأنه قال: رهن رمس. والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله(١٧٤). وشايع الزمخشري في رأيه هذا فريق من حذاق المفسرين(١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩). وعضد الألوسي هذا الوجه بأن الرهينة إنما اختيرت على الصفة (رهين) التي توازن (لليمين) ولا تحتاج إلى التأويل؛ لأن الرهينة مصدر وهو أبلغ من الصفة فهو أنسب بالمقام، فلا يلتفت للمناسبة اللفظية فيه(١٨٠). وعضد هذا الوجه بأن المصدر الآخر الذي بمعنى الرهينة وهو الرهن يفيد الدلالة على المفعول أيضا لأنّه اسم للشيء المرهون تسميةً للمفعول بالمصدر كالخلْق(١٨١).

وهذا الوجه هو الراجح، إذ التاء في رهينة للنقل مع الوصفية للاسمية، لا للتأنيث، فهي بمنزلة تاء النطيحة والذبيحة والموقوذة والمنخنقة وغيرهما من الأسماء التي تدلّ على الجنسين. ورأى أبو حيان أنَّ تأنيث الرهينة في هذه الآية هو مراعاة المبتدأ المؤنث (كلّ نفس) ولما كان اللفظة خبراً عن المذكر كانت بغير هاء في قوله تعالى: {كُلُّ أمرئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} وحيث كانت خبراً عن مؤنث أتى بالتاء كما في هذه الآية (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥). ويبدو من تأنيث رهينة في سورة المدثر أن اللفظ صفة مشبهة لا صيغة مبالغة، ومن هنا فسّر في الآيتين بمعنى المفعول فمعنى رهين " مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به"(١٨٦).

المطلب الرابع: فعيلة ذات الدلالة الاحتمالية الرباعية، وعليها لفظتان؛

الأولى: بصيرة، في قوله تعالى: {بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: ١٤]، وساقوا في تأويل لفظ ﴿بصيرة﴾ اربعة أقوال:

الأول: البصيرة أصلها (بصير) وهي صفة مشبهة باسم الفاعل تعود على الإنسان، ودخلت الهاء على صفة المذكر للدلالة على المبالغة، وهذا قول أبي عبيدة: "(بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)

جاءت هذه الهاء في صفة الذكر كما جاءت في راوية وعلّامة وطاغية"(١٨٧، ١٨٨). وعضد هذا الوجه بأن التعبير القرآني صرح في آية أخرى بمعنى المبالغة في بصر الانسان يوم القيامة حين وصف بصره بالحديد في قوله تعالى {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: ٢٢] فجاء البصر موصوفاً بحديد على سبيل المبالغة، مما يشعر بقوة البصر والبصيرة في هذا اليوم. ومن هنا فهم ابن عاشور أ البصيرة في هذا الوجه " بِمَعْنَى مُبْصِرٍ شَدِيدِ الْمُرَاقَبَةِ فَيَكُونَ بَصِيرَةٌ خَبَرًا عَنِ الْإِنْسَانُ. وعَلى نَفْسِهِ مُتَعَلِّقًا بِبَصِيرَةٌ، أَيِ الْإِنْسَانُ بَصِيرٌ بِنَفْسِهِ. وَعُدِّي بِحَرْفِ عَلى لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْمُرَاقَبَةِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً. وَهَاءُ بَصِيرَةٌ تَكُونُ لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلَ هَاءِ عَلَّامَةٍ وَنَسَّابَةٍ، أَيِ الْإِنْسَانُ عَلِيمٌ بَصِيرٌ قَوِيُّ الْعِلْمِ بِنَفْسِهِ يَوْمَئِذٍ.

الثاني: إنّ البصيرة صِفَةً لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: حُجَّةٌ بَصِيرَةٌ، وَتَكُونُ بَصِيرَةٌ مَجَازًا فِي كَوْنِهَا بَيِّنَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ [الْإِسْرَاء: ١٠٢] وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [الْإِسْرَاء: ٥٩] وَالتَّأْنِيثُ لِتَأْنِيثِ الْمَوْصُوفِ"[١٨٩، ١٩٠، ١٩١].

وهذا قول الفراء: " قوله عزَّ وجلَّ: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. يَقُولُ: عَلَى الْإِنْسَان من نفسه رقباء يشهدون عَلَيْهِ بعمله: اليدان، والرجلان، والعينان، والذكر، قَالَ الشَّاعِر:

كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةً   بِمَقْعَدِهِ أَوْ مَنْظَرٍ هُوَ نَاظِرُهُ

يحاذر حتى يحسب الناس كلّهم ... من الخوف لا تخفي عليهم سرائره"[١٩٢] ، واختار هذا ابن قتيبة فقال: " أي: بل على الإنسان من نفسه بصيرة. يريد شهادة جوارحه عليه، لأنها منه، فأقامه مقامها، قال الشاعر:

ترى الثّور فيها مدخل الظلّ رأسه   وسائره باد إلى الشمس أجمع

أراد (مدخل رأسه الظلّ) فقلب، لأن الظلّ التبس برأسه فصار كل واحد منهما داخلا في صاحبه. والعرب تقول: (اعرض النّاقة على الحوض) تريد: اعرض الحوض على الناقة، لأنك إذا أوردتها الحوض: اعترضت بكل واحد صاحبه"[١٩٣]. واختار الطبري هذا الوجه فقال في تأويل الآية: " يقول تعالى ذكره: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به"[١٩٤]. ثم عزا الطبري هذا إلى ابن عباس وأنه قال: "قوله: (بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه"[١٩٥].

ورأى الزجاج أن معنى الآية " بل الإِنسان تشهد عليه جوارحه، قال اللَّه عزَّ وجلَّ:(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وقال في موضع آخر (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فأَعلم اللَّه أن هذه الجوارح التي يتصرفون بها شواهد عليهم"[١٩٦].

وجوزوا في إعراب هذا الوجه أنْ يكونَ (بصيرةٌ) صفةً لمحذوفٍ أي: أعضاء بصيرةٌ، أو جوارح بَصيرة. أو ملائكةٌ بصيرة، والتاءُ على هذا للتأنيثِ[١٩٧]. وأغرب أبو حيان في قوله "نَخْتَارُ أَنْ تَكُونَ بَصِيرَةٌ فَاعِلًا بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، وَهُوَ الْخَبَرُ عَنِ الْإِنْسَانِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدِ اعْتَمَدَ بِوُقُوعِهِ خَبَرًا عَنِ الْإِنْسَانِ؟"[١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠] وإنما كان هذا غريبا لاعتماده على عامل محذوف يعمل من جهتين في التقدير (بل الانسان مستقر على نفسه بصيرة) فمستقر يعرب خبرا من جهة ويعرب اسم فاعل رفع

(بصيرة) من جهة أخرى. ويظهر ضعف هذا الوجه بأنه يلزم منه أن يكون المحصل من الآية خطابا للكفار وليس للناس جميعا، لأن الكافرين ينكرون ما عملوا في دنياه، فيُختم على أفواههم، وتنطق جوارحهم عليهم وهذا بعيد عن سياق الآية التي تخاطب الانس جميعا مؤمنهم وكافرهم معا.

الثالث: بَصِيرَةٌ هُنَا مَصْدَرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: ذُو بَصِيرَةٍ وعضد هذا بأن البصيرة وردت مصدرا بمعنى اليقينوالبصيرةُ: هي المعرفة التي يميز بها بين الحقّ والباطل، وهي الحجَّة والبرهان[٢٠١] في قوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨]، وقال العكبري في تضعيف هذا الوجه: "وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى التَّبْيِينِ"[٢٠٢].

الرابع: إنّ (بصيرة) اسم مصدر، فيكون المعنى أن الإنسان هو بصيرة على نفسه، أي: أنه سِجِلٌّ على نفسه، فهو كما تقول: أنت حجة وبرهان على نفسك. وهذا قول الأخفش: قوله تعالى"{بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} فجعله هو البصيرة كما تقول للرجل: "أَنْتَ حُجَّةٌ على نَفْسِكَ"[٢٠٣، ٢٠٤]. وذكر الطبري أنّ هذا قول بعض نحويي البصرة ولم يسمه[٢٠٥]. التاء في هذا الوجه للنقل إلى الاسمية بمنزلتها في فلان عبرة الميتة النطيحة وتعرب (بصيرة) أنها خبر عن الإنسان، و(على نفسه) متعلق ببصيرة، والمعنى: بل الإنسان بصيرة على نفسه. واختار الزمخشري هذا الوجه فقال الزمخشري: (بصيرة): "حُجَّة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً} [النمل: ١٣]"[٢٠٦]. وعلق السمين الحلبي بهذا قوله بهذا قوله: "هذا إذا لم تجعل الحُجَّة عبارة عن الإنسان، أو تجعل دخول التاء للمبالغة أمَّا إذا كانت للمبالغة فنسبة الإبصار إليها حقيقة"[٢٠٧، ٢٠٨].

الثانية: زكيّة، في قوله تعالى: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً} [الكهف ٧٤]، وفي تأويل دلالة زكية أربعة أوجه حملها ثلاثة على التحول الصرفي من أبنية أخرى وأبقاها الرابع على ظاهرها، تلك الأوجه هي:

الأول: عليه أكثرهم وهو أنَّ زكية محوّلة من زاكية، وقد قرئ بهما معاً إذ قرأ (زَاكِية) بألف وتخفيف الياء كلّ من نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وبدون الألف وتشديد الياء: الباقون، فمن قرأ (زاكيةً) فهو اسمُ فاعلٍ على أصله، ومَنْ قرأ (زَكِيَّةً) فقد أخرجه إلى فعيلة للمبالغة. أي أنّ الفرق بين القراءتين هو المبالغة في الزكاء وهو النماء في البدن، فالنفس الزاكية هي التي لم تنمُ كثيرا فتبلغ مبلغ الشبان والنفس الزكية قد نمت لتبلغ ذلك وعزي هذا إلى ثعلب وأَنس به آخرون[٢٠٩، ٢١٠، ٢١١].

وعضدوه بأنّ المقتول سمّي غلاما، والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام. ومنه قول ليلى الأخيلية في الحجاج:

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا   غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سقاها

وقال آخر:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي   غُلَامٌ إِذَا هوجيت لست بشاعر

ولهذا نعتت نفسه بالزكية لأنه بلغ مبلغ الرجال.

الثاني: أن تكون زكيّة ليست محولة من زاكية بل هما لغتان معناهما واحد مثل القاسية والقسيّة. وهذا رأي الكسائي والفراء، واختاره الطبري بعد أن عزاه إلى أهل الكوفة فقال: "وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والزاكية واحد، كالقاسية والقسية، ويقول: هي التي لم تجن شيئا، وذلك هو الصواب عندي لأني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب"[٢١٢]

ثم اختُلف في تأويل المراد بالزاكية والزكية في هذا الوجه على ستة أوجه هي [٢١٣، ٢١٤]:

١: أن كلا منهما بمعنى التائبة، قاله قتادة.

٢: أنهما بمعنى الطاهرة، حكاه ابن عيسى.

٣: أنهما بمعنى النامية الزائدة، قاله كثير من المفسرين، قال النابغة الذبياني:

وما أخرتَ من دُنياك نقص   وإن قدّمْتَ عادَ لَك الزّكاءُ

يعني الزيادة.

٤: أنهما بمعنى الزاكية المسلمة، قاله ابن عباس لأن عنده أن الغلام المقتول رجل

٥: أنَّ الزاكية التي لم يحل دمها، قاله أبو عمرو بن العلاء.

٦: أنها التي لم تعمل الخطايا، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: ذهب الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي إلى أن الزكية فعيلة بمعنى مفعولة والمعنى نفسا مزكاة من الذنب لأنه طفل لم يبلغ الحلم فلا ذنب عليه وفعيل بمعنى مفعول يأتي من غير الثلاثي كرضيع بمعنى مرضع من أرضعت.

ويردّ هذا الوجه بأن فعيل بمعنى مفعول لا تلحقه تاء التأنيث بل يستوي فيه المذكر والمؤنث كعقيم في قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} الذاريات ٢٩ وتذكير الزكي في قوله تعالى {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً} مريم ١٩ دليل على أنه فاعل لا مفعول.

الرابع: جوز الألوسي أن تكون الزكية بمعنى مزكاة بفعل فاعل وزاكية يكون الزكاء فيها طبعا وسجية وذلك أن تكون الزاكية بالألف من زكى اللازم فيكون الزكاء في الغلام ليس بفعلِ آخر بل ثابت له في نفسه، وزكيّة بمعنى مزكاة فإن فعيلاً قد يكون من غير الثلاثي كرضيع بمعنى مرضع، وتطهير غيره له من الذنوب إنما يكون بالمغفرة، فتكون زاكية بالألف أبلغ وأنسب بالمقام بناءً على أن موسى عليه السلام يرى أن الغلام لم يبلغ الحلم فقال: زكية وهو يرى أنها مزكاة من الذنوب[٢١٥].

ويبدو أنّ الفرق بينهما ليس المبالغة في نمو البدن، بل الزاكية نمو في البدن والزكية نمو في الدين ومعنى زاكية نامية، وأما زكية، فمعناها تقية صالحة فعلى هذا تكون زكية صفة مشبهة تدل على الثبوت وهذا مذهب أبي عبيدة [٢١٦] واختاره آخرون[٢١٧، ٢١٨].

وعزي إلى أبي عمرو بن العلاء وجها آخر أخرج فيه زكية على أنها صفة مشبهة على فعيلة، وذلك أنّ الفرق بين زاكية وزكية هو أنَّ الزاكية: التي لم تذنب قط، والزكية: التي أذنبت ثمّ تابت لكن من غير تقتل نفساً يوجب عليها القود[٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤]. وبناء على هذا الفرق نقل النحاس ترجيح بعضهم قراءة زاكية، لأن المقتول كان طفلا فلا ذنب له[٢٢٥].

ووصف هذا الفرق بأنه غير ظاهر، لأن أصل معنى الزكاة النمو والزيادة، فلذا وردت للزيادة المعنوية وأطلقت على الطهارة من الآثام ولو بحسب الخلقة والابتداء كما في قوله تعالى: {لِأهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً} فمن أين جاءت هذه الدلالة [٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١].

ويبدو أن الراجح هو أن الزكية صفة مشبهة للنفس من زكُو يزكو تفيد اللزوم والثبات لا المبالغة أو المفعولية وهي من نوع الصفات اللا إرادية التي يتصف بها الفاعل تلقائيا كوسيم وطويل لا التي يقوم بها قصدا ككريم وبخيل ، وآية ذلك أن ظاهر التعبير القرآني يدل على المقتول كان بالغاً، لأنه

قتل (بغير نفس) فالمفهوم من هذا القيد أن قتله بنفس جائز، ويبقى قتله لفساد في الأرض جائز أيضاً، وهو ما سكت عنه التعبير القرآني في هذا الموضع لكنه ظاهر في عدة مواضع أخرى منها ما في قوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} المائدة ٣٢ أي أن المفهوم من النفس الزكية هي التي اتصفت بتمام الزكاء وهو كناية عن قرب البلوغ مبلغ الرجال وكان التعبير القرآني قد ذكر أنهما وجدا غلاما والغلام ينتفع به الأب الكبير في التعبير القرآني كما في الآيات : {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} آل عمران ٤٠ والمرأة الوحيدة {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً} مريم٢٠ ويستبشر به {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} يوسف ١٩ وقد يرهق أبويه {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً} الكهف ٨٠. أي أن قتله كان لفساد في الأرض لا لقتله نفسا كما فهم موسى وقوله {بغير نفس} ويدل على كبر الغلام وإلاّ فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس .

المطلب الخامس/ فعيلة ذات الدلالة الاحتمالية الخماسية:

وعليها لفظة **(الوسيلة)** في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٣٥] وقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٧]. ولهم في تأويل دلالاتها الصرفية خمسة أوجه هي:

الأول: الوسيلة مصدر مجرد من الحدث بمعنى بمعنى التوسّل وهي "فعيلة من توسلت إليه أي تقربت"[٢٣٢]. وهي تشتمل على مجمل العمل الصالح من عبادات ومعاملات أو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى[٢٣٣].

الثاني: الوسيلة اسم مصدر اختلفوا في معناه على عدة أقوال فقيل هي: القُربة أو الدرجة العليا

وصرح التعبير القرآني أن الوسيلة هي السبيل الامثل لقبول الدعاء وقربه من رحمة الله فقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٧] وإعراب (أيهم أقرب) مبتدأ وخبر الجملة في محل نصب: ينظرون أي يفكرون والمعنى: ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به[٢٣٤].

الثالث: الوسيلة اسم جمع بمعنى قرابة النبي وأهل بيته، إذ رأى النسفي أن الوسيلة في الأصل قرابة النبي الأكرم ثم استعيرت في الطاعات الأخرى، إذ قال: "{وابتغوا إِلَيهِ الوسيلة} هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات"(٢٣٥).

ونُقل عن أهل البيت (عليهم السلام) تفسيرهم الوسيلة بالأئمة الأطهار، ومعنى ابتغاء الوسيلة هو التقرب بالأئمة إلى الباري عز وجل، إذ قال أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٣٥]: (أنا وسيلته)(٢٣٦).

وورد لفظ الوسيلة مرادفا للأئمة في الأدعية المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) كما في دعاء التوسل: (يا سادتي وموالي إنّي توجهت بكم أئمتي وعدّتي ليوم فقري وحاجتي الى الله وتوسلت بكم الى الله واستشفعت بكم الى الله). وجاء في دعاء الندبة: (وجعلتهم الذريعة اليك والوسيلة الى رضوانك).

وأنس الثعلبي بتفسير الوسيلة بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنقل بإسناده" عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: "في الجنة لؤلؤتان إلى بطنان العرش إحداهما بيضاء والأخرى صفراء في كل واحد منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها من عرق واحد فالبيضاء واسمها الوسيلة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته والصفراء لإبراهيم (عليه السلام) وأهل بيته"(٢٣٧) وأورد ابن أبي الحديد في شرح (نهج البلاغة) خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) (عليها السلام):" واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره، يبتغي من في السماوات والأرض، إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه".

الرابع: الوسيلة اسم ذات مؤنث لمنزلة النبي في الجنة، وهذا الوجه منقول عن النبي الأكرم وأمير المؤمنين في خطبته المعروفة بالوسيلة، إذ المحصل من كلامهما أنها درجة في الجنة للنبي وأهل بيته، ففي معاني الأخبار للصدوق بإسناده " عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: إذا سألتم الله لي فسلوه الوسيلة. فسألنا النبي صلى الله عليه واله عن الوسيلة. فقال: هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهرا وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته.

الخامسة: الوسيلة اسم مفرد على فعيلة بمعنى النبي أو الإمام وتاؤه للنقل إلى الاسمية، وفي تفسير القمي قوله: اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة فقال: "تقربوا اليه بالإمام". وفي بصائر الدرجات للصفار –هو من اصحاب الامام الحسن العسكري –بإسناده عن " سلمان الفارسى (رض) عن امير المؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب فقال انا هو الذي عنده علم الكتاب وقد صدقه الله واعطاه والوسيلة في الوصية ولا تخلى امة من وسيلته اليه والى الله فقال يا ايها الذين آمنو اتقوا الله وابتغوا اليه والوسيلة". وفي معاني الاخبار للشيخ الصدوق (ت ٣٨٥هـ) بإسناده "عن أبي سعيد، قال: قال النبي صلى الله عليه واله: من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه ومن كنت أمير فعلي أميره، ومن كنت نذيره فعلي نذيره، ومن كنت هادية فعلي هادية، ومن كنت وسيلته إلى الله تعالى فعلي وسيلته إلى الله عز وجل فالله سبحانه يحكم بينه وبين عدوه".

ولا تعارض بين هذه الأوجه إلا الأول منها الذي حمل اللفظة على المعاني لا الجواهر؛ لأنه فسرها بالمصدر المجرّد وسياق التعبير القرآني في استعمال مشتقات الجذر(بغى) يدل على أنَّ الوسيلة جوهر لا معنى فآي الذكر الحكيم المشتملة على فعل الابتغاء أوقعت الفعل على الاسماء المحسوسة (الجواهر) على نحو واضح سواء كانت حقيقة أم مجازا، وتلك الأسماء قد تكون ذاتا أو صفة أو موصولا أو مكانا أو اسم جمع أو أسم مصدر كما في الآيات:

{وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ} [البقرة: ١٨٧]، {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧]، {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء: ٩٤]، {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} [النساء: ١٠٤]، {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} [الأنعام: ١١٤]،{وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ} [الرعد: ١٧]، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء: ٤٢]، {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص: ٧٧]، {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: ١٧]، {وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٢]، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[البقرة: ٢٠٧]، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: ١٩٨]، {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} [الحديد: ٢٧]، ولذا فالمتعين من سياق التعبير القرآني أن يكون (الوسيلة) اسم محسوسا ولا تعارض بين كون المراد به الجمع أم الواحد . فثمة روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام يحصّل منها أن الوسيلة والعروة الوثقى والإمام والقربى والزلفى ألفاظ مؤداها واحد يفسّر

بعضها بعضا. إذ نقل الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام الرضا عن أجداده قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): "الائمة من ولد الحسين عليه السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله عز وجل هم العروة الوثقى وهم الوسيلة الى الله عز وجل".

ويشهد سياق الحال على هذا التأويل لمدلول الوسيلة هذا، فقد نقل ابن حجر "عن ابن عمر أنه قال استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب، فقال اللهم إن هذا عم نبيك نتوجه به إليك فاسقنا فما برحوا حتى سقاهم". وذكر ابن حجر توسّل الامام الشافعي بآل البيت (ع) حين قال:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم اعطى غداً بيدي اليمين صحيفي

وقال الشاعر صاحب بن عبّاد في ذلك:

وإذا الرجال توسّلوا بوسيلة فوسيلتي حبّي لآل محمّد

الله طهّرهم بفضل نبيّهم وأبان شيعتهم بطيب المولد

والدليل اللغوي على تأويل الوسيلة بالأئمة الأطهار أن لفظ الوسيلة على وزن (فعيلة) وهذا لفظ دال على الأسماء كالنطيحة والذبيحة والجزيرة، فهو اسم من التوسل، والجذر (وسل) مرادف لنظيره الصوتي (وصل) فكأن المحصل هو الوصول الآمن إلى الغاية بوساطة معينة، ولذا، فالوسيلة اسم للسبيل الذي سلكه المخلصون من غواية إبليس منذ خلق آدم حتى قيام الساعة، وأبين مصاديق هذا السبيل هم الأئمة الأطهار الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخصّ من الوصيلة لتضمُّنها لمعني الرغبة، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرّي مكارم الشريعة وهي كالقربة، والواسل الراغب إلى الله تعالى(٢٣٨).

وأما تفسير الوسيلة بالأعمال الصالحة كالصلاة والصيام والحج والزكاة؛ فمن باب التوسع في استعمال اللفظ واستعارته إلى معان مقاربة، فهداية الله تعالى تصل الى الانسان عن طريق الأسباب والوسائل التي جعلها الله سبحانه طريقا لها، وإلى هذا الأصل أشار الامام الصادق (ع) في كلامه ويقول: " أبى الله أن تجري الاشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً". والمحصل من سياق الآيتين المشتملتين على لفظ (الوسيلة) أن ثمة نوعين من الأسباب المقرّبة إلى الله سبحانه: الفرائض والنوافل التي ندب إليها الكتاب والسنّة، ومنها التقوى، والجهاد

الواردين في الآيتين، وإليه يشير عليّ أمير المؤمنين (ع) بقوله: (إنّ أفضل ما توسل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به، وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، وإقام الصلاة فإنّها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنّه جنّة من العقاب، وحجّ البيت واعتماره فإنّهما ينفيان الفقر، ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنّها مثراة في المال، ومنسأة في الأجل، وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان) والنوع الثاني : مسائل ورد ذكرها في الكتاب والسنّة الكريمة، وحثّ عليها الرسول(ص) وتوسّل بها الصحابة والتابعون وكلّها توجب التقرّب إلى الله سبحانه. ومن تلك الوسائل المقرّبة هم أئمة أهل البيت (ع)[٢٣٩]. لذا كانت عقيدة معظم المسلمين التوسل بالنبي الأكرم والأئمة الأطهار، وتوجه الشيعة إلى الله عز وجل في طلب الحوائج ودفع الهموم والغموم هو بالاستقلال، وأما توسلهم بالنبي وآله الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين فللشفاعة عند الله سبحانه في قضاء الحوائج، وكشف الهموم وهو المحصل من القرآن الحكيم، إذ يقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ). وهم (عِبَادٌ مكرمون لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يعملون فآل محمد (ص) هم الوسيلة: ومن جملة الأحاديث المعتبرة، التي نستدل بها على التمسك والتوسل بآل محمد (ص) ومتابعتهم: حديث الثقلين، وهو حديث صحيح أجمع عليه الفريقان، وقد بلغ حد التواتر، إذ قال النبي (ص): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيت، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، وهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وزخر التعبير القرآني بأمثلة طلب الحاجة من المخلوقين وعدها منقبة لمن جاء بها، وليس شركا به تعالى، ولو كانت الاستعانة بالآخرين في قضاء الحوائج شرك ، فلماذا كان الأنبياء يستعينون بالناس في بعض حوائجهم كما في قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل الآيات (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هذَا مِن فَضْلِ. ومن الواضح أن الإتيان بعرش بلقيس من ذلك المكان البعيد، بأقل من لمحة بصر، لم يكن هيناً، وليس من عمل الإنسان العاجز الذي لا حول له ولا وقوة، فهو عمل جبار خارق للعادة، وسليمان مع علمه بأن هذا العمل لا يمكن إلا بقدرة الله تعالى وبقوة إلهية، مع ذلك ما دعا الله سبحانه في تلك الحاجة ولم يطلبها من ربه عز وجل، بل أرادها من المخلوقين، واستعان عليها بجلسائه العاجزين. فهذا دليل على أن الاستعانة بالآخرين في

الوصول إلى مرادهم، وطلب الحوائج من الناس، لا ينافي التوحيد، وليس بشرك كما تزعمون، فإن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار أسباب ومسببات، وعالم العلل والمعلولات.

وأما دلالة الوسيلة على منزلة النبي الأكرم في الجنة، فقد جاء مثل هذا في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين في قوله : " أيها الناس إن الله تعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وآله الوسيلة ووعده الحق ولن يخلف الله وعده، ألا وإن الوسيلة على درج الجنة وذروة ذوائب الزلفة ونهاية غاية الامنية، لها ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام وهو ما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرة، إلى مرقاة زبرجدة إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ياقوته، إلى مرقاة زمردة، إلى مرقاة مرجانة، إلى مرقاة كافور، إلى مرقاة عنبر، إلى مرقاة يلنجوج، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة غمام، إلى مرقاة هواء، إلى مرقاة نور قد أنافت على كل الجنان ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ قاعد عليها، مرتد بريطتين ريطة من رحمة الله وريطة من نور الله، عليه تاج النبوة وإكليل الرسالة قد أشرق بنوره الموقف وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهى دون درجته وعلي ريطتان ريطة من أرجوان النور وريطة من كافور والرسل والانبياء قد وقفوا على المراقي، وأعلام الازمنة وحجج الدهور عن أيماننا وقد تجللهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول صلى الله عليه وآله غمامة بسطة البصر يأتى منها النداء: يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصي وآمن بالنبي الامي العربي ومن كفر فالنار موعده ".

الهوامش والمصادر:

(١) المفردات في غريب القرآن: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

(٢) الصحاح، معجم الصحاح قاموس عربي–عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف: اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ن بيروت، ٢٠٠٨م.

(٣) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ): تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥م .

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ)، تقديم د. اميل بديع يعقوب، الطبعة الثانية.

(٥) شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد بن عبد الله الازهري (ت٩٠٥ هـ) – الطبعة الاولى – مطبعة الاستقامة – دار احياء الكتب العربية – مصر ١٩٥٤ م .

(٦) المفردات في غريب القرآن، حمى.

(٧) الصحاح (خطأ).

(٨) المفردات في غريب القرآن، شرع.

(٩) المفردات في غريب القرآن، فرض.

(١٠) المفردات في غريب القرآن، وصي.

(١١) المفردات في غريب القرآن، هدي.

(١٢) الكتاب: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ) – تحـ: عبد السلام هارون، ط٣، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م .

(١٣) معاني القرآن وإعرابه: ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت ١٤٠٨هـ .

(١٤) التكملة: ابو علي الحسين بن احمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) – تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان – مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – الموصل ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، ط٢، دار الكتاب، ودار الفكر، بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

(١٦) لسان العرب: ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.

(١٧) الصحاح ١٦/١.

(١٨) معاني القرآن واعرابه ٣٥٠/٥.

(١٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٨٨/١.

(٢٠) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تقديم وتعليق: ابراهيم شمس الدين، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ .

(٢١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨م.

(٢٢) تهذيب اللغة: ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت٣٧٠هـ) تحـ : يعقوب بن عبد النبي، مراجعة : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢٣) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)، عناية: الشيخ زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .

(٢٤) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لمحمد بن يوسف بن حيان أبو حيان الأندلسي، تحقيق سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

(٢٥) معاني القرآن واعرابه ٣٥٠/٥.

(٢٦) المفردات في غريب القرآن، عشر.

(٢٧) المفردات في غريب القرآن، فصل.

(٢٨) المفردات في غريب القرآن، قبل.

(٢٩) الكتاب ٢١٣/٢.

(٣٠) شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ) مع شرح شواهده، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

(٣١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٦٥.

(٣٢) المفردات في غريب القرآن، بهم.

(٣٣) المفردات في غريب القرآن، بحر.

(٣٤) المفردات في غريب القرآن، وصل.

(٣٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط١، دار الفكر، ١٩٧٧م

(٣٦) شرح جمل الزجاجي: لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق صاحب ابو جناح، جامعة الموصل ١٩٨٢م.

(٣٧) إعراب القرآن: ابو جعفر احمد بن محمد بن النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٣٨) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت٦٠٤هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ .

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، خرج احاديثه محمد بن عيادي، الدار البيضاء ٢٠٠٥م .

(٤٠) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

(٤١) الكتاب ٦٤٧/٣.

(٤٢) أدب الكاتب: ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق وضبط وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٨٢ / ١٩٦٣م .

(٤٣) الاضداد لأبي بكر محمد بن القاسم بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) تحـ : محمد أبي الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م

(٤٤) شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب– بيروت

(٤٥) ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تحـ: احمد مصطفى النماس، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، مصر ١٤٠٨ .

(٤٦) معاني القرآن واعرابه ٦٠.

(٤٧) شرح المفصل ١٠٢/٥.

(٤٨) علم الدلالة: احمد مختار عمر، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٤٩) معاني القرآن واعرابه ٣٠١/١.

(٥٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧١/٦.

(٥١) الاضداد ١٦/٢.

([52]) معالم التنزيل تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.

([53]) التبيان في اعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٢٠١٠م.

([54]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (احمد بن يوسف ت ٧٥٦ هـ) تحقيق احمد محمد الخراط، ط١، دار العلم دمشق، ١٩٨٦.

([55]) المفردات في غريب القرآن، ولج.

([56]) معاني القرآن واعرابه ١/١٢٥-١٢٦.

([57]) معاني القرآن واعرابه ١/٢٢٠.

([58]) التحرير والتنوير ١٥/٣٦٥-٢٦٦.

([59]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/٢٩/١٣٨-١٣٩.

([60]) معالم التنزيل ٤/٢٧٢.

([61]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٧٩١هـ)، تح: عبد القادر حسونة، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.

([62]) تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط٥، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩ .

([63]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (ت٩١١هـ)، بعناية الشيخ نجدت نجيب، دار إخياء التراث العربي، بيروت، دت.

([64]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠/٢٩/١٥١.

([65]) البحر المحيط في التفسير ١٠/٢٩٩-٣٠٠.

([66]) معالم التنزيل ٤/٣٧٢.

([67]) انوار التنزيل ٢/٥٣٥.

([68]) معالم التنزيل ٤/٣٧٢.

([69]) انوار التنزيل ٢/٥٣٥.

([70]) تفير القرآن العظيم ٥/١٤٨.

([71]) معالم التنزيل ٤/٣٧٢.

([72]) انوار التنزيل ٢/٥٣٥.

([73]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١١/٣١/١٤٤.

([74]) تفسير اللباب في علوم الكتاب، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١ .

([75]) معاني القرآن واعرابه ٥/١٨٣.

([76]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١١/٣١/١٤٤.

([77]) تفسير اللباب في علوم الكتاب ١٩/٤٢٧-٤٢٩.

([78]) مدارك التنزيل (تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التأويل وحقائق التأويل) النفسي (ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمد ت ٧١٠ هـ) بيروت، ١٩٧٨ .

([79]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١١/٣١/١٤٤.

([80]) تفسير اللباب في علوم الكتاب ١٩/٤٢٧-٤٢٩.

([٨١]) معاني القرآن: ابو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ)، تقديم وتعليق: ابراهيم شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ.

([٨٢]) لسان العرب (طرق).

([٨٣]) مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠.

([٨٤]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩.

([٨٥]) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩.

([٨٦]) معالم التنزيل ٣٧٢/٤.

([٨٧]) أنوار التنزيل ٥٣٥/٢.

([٨٨]) تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥.

([٨٩]) معاني القرآن ١٩٣/٣.

([٩٠]) التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحـ: احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير – المطبعة العلمية، ومطبعة النعمان – النجف الاشرف ١٩٥٧م.

([٩١]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية ت ٥٤١ هـ تحقيق احمد صادق الملاح، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٤ م.

([٩٢]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العليمة ٢٠١٠م.

([٩٣]) معاني القرآن واعرابه ١٨٣/٥.

([٩٤]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١٤٤/٣١/١١.

([٩٥]) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩.

([٩٦]) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥١/٢٩/١٠.

([٩٧]) المحرر الوجيز ٣٨٢/٥.

([٩٨]) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥١/٢٩/١٠.

([٩٩]) التبيان في تفسير القرآن ١٢٦/١٠.

([١٠٠]) التحرير والتنوير ٣٦٥/١٥-٣٦٦.

([١٠١]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١٤٤/٣١/١١.

([١٠٢]) تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥.

([١٠٣]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١٤٤/٣١/١١.

([١٠٤]) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩.

([١٠٥]) تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد العلي بن جمعة الحويزيّ (ت ١١١٢هـ)، تحقيق رضا عياش، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٥م.

([١٠٦]) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥١/٢٩/١٠.

([١٠٧]) تفسير نور الثقلين ٤٣٨/٥.

([١٠٨]) الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، ط١ ،٢٠٠٩، بغداد.

([١٠٩]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٦٣٠/٤.

([١١٠]) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١٤٤/٣١/١١.

([١١١]) المفردات في غريب القرآن ٤١٦.

([١١٢]) البحر المحيط في التفسير ٢٩٩/١٠-٣٠٠.

(١١٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩.

(١١٤) الاضداد ٢/٤٦٦.

(١١٥) تفسير اللباب في علوم الكتاب ١٩/٤٢٧-٤٢٩.

(١١٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تعليق محمد أحمد الأمل وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ١٩٩٩.

(١١٧) التحرير والتنوير ١٥/٣٦٥-٣٦٦.

(١١٨) معاني القرآن ١/١٩٥.

(١١٩) الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ت ٤٢٧هـ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٢٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/٣٣١.

(١٢١) المحرر الوجيز ٣/٤٠.

(١٢٢) تفسير مجاهد أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(١٢٣) معالم التنزيل ١/٢٤١.

(١٢٤) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية – اخراج: ابراهيم مصطفى، واحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار – دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع – استانبول ١٩٨٩م.

(١٢٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/٣٣٠.

(١٢٦) البحر المحيط في التفسير ٢/٥٨٢.

(١٢٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ١/٣٢١.

(١٢٨) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٦/٥٠٧.

(١٢٩) الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤٨.

(١٣٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢/٥٢٤.

(١٣١) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٨/٤٨٥.

(١٣٢) البحر المحيط في التفسير ٢/٥٨٢.

(١٣٣) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٨/٤٨٥.

(١٣٤) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٤٤.

(١٣٥) التحرير والتنوير ٧/١٣٨.

(١٣٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢/٢٩٧.

(١٣٧) معاني القرآن واعرابه ٣/٦٧.

(١٣٨) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٨/٤٨٥.

(١٣٩) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٤٤.

(١٤٠) التحرير والتنوير ٧/١٣٨.

(١٤١) التكملة ٢/٧٥.

(١٤٢) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٧١.

(١٤٣) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٨/٤٨٥.

(١٤٤) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٩/١٩١.

(١٤٥) المفردات في غريب القرآن، بقي.

(١٤٦) المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحـ : شهاب الدين ابو عمرو، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٤١٨هـ /١٩٩٨ م.

(١٤٧) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٤٨٥/٨.

(١٤٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٥/٢٤.

(١٤٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢٩٧/٢.

(١٥٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢٩٧/٢.

(١٥١) البحر المحيط في التفسير ٢٧١/٦.

(١٥٢) البحر المحيط في التفسير ٤٠٢/٨.

(١٥٣) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٤٨٥/٨.

(١٥٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤١٠/٣.

(١٥٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٥/٢٤.

(١٥٦) الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٩.

(١٥٧) تفسير القرآن العظيم ٤٣٧/٧.

(١٥٨) المحرر الوجيز ٤٥٤/٦.

(١٥٩) المفردات في غريب القرآن، رهن.

(١٦٠) المحرر الوجيز ٤٥٤/٦.

(١٦١) المحرر الوجيز ٤٥٤/٦.

(١٦٢) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٣٤٥/١٤.

(١٦٣) البحر المحيط في التفسير ٢٩٨/٨.

(١٦٤) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٨٥/١٦.

(١٦٥) المحرر الوجيز ٣٩٨/٥.

(١٦٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤٣٨/٢١.

(١٦٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢٩٧/٢.

(١٦٨) الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٩.

(١٦٩) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٨٥/١٦.

(١٧٠) المحرر الوجيز ٤٥١/٦.

(١٧١) معاني القرآن ٢٠٥/٣.

(١٧٢) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٧١٥/٣٠.

(١٧٣) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ٣٥٤/١٤.

(١٧٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ١٨٦/٤.

(١٧٥) التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ١٦١/١٦.

(١٧٦) الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٩.

(١٧٧) أنوار التنزيل ٢٧٩/٨.

(١٧٨) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٨٥/١٦.

(١٧٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤٥٥/٦.

(١٨٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤٣٨/٢١.

(١٨١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢٤/٤.

(١٨٢) البحر المحيط في التفسير ٢٩٨/٨.

(١٨٣) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٨٥/١٦.

(١٨٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤٥٥/٦.

(١٨٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤٣٨/٢١.

(١٨٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٢٤/٤.

(١٨٧) إعراب القرآن ٥٤/٥.

(١٨٨) مجاز القرآن: ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) – معارضة وتعليق: محمد فؤاد سزكين – الطبعة الثانية – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(١٨٩) التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٩.

(١٩٠) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٥٥٥/٩.

(١٩١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥٦/١٥.

(١٩٢) معاني القرآن ٢١١/٣.

(١٩٣) الاضداد لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد.

(١٩٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٤/٢٤.

(١٩٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٤/٢٤.

(١٩٦) معاني القرآن واعرابه ٢٥٢/٥.

(١٩٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٢٤/٢.

(١٩٨) البحر المحيط في التفسير ٣٤٧/١٠.

(١٩٩) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٥٥٧/١٠.

(٢٠٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٢٧/١٠.

(٢٠١) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢٢٤/١١.

(٢٠٢) التبيان في تفسير القرآن ١٢٥٤/٢.

(٢٠٣) إعراب القرآن ٥٤/٥.

(٢٠٤) معاني القرآن ٥٥٧/٢.

(٢٠٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٤/٢٤.

(٢٠٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٦٦٢/٤.

(٢٠٧) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٥٥٦/١٩.

(٢٠٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٧١/١٠.

(٢٠٩) البحر المحيط في التفسير ١٥٠/٦.

(٢١٠) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٤٩٨/١٠.

(٢١١) انوار التنزيل ٣١/٣.

(٢١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧٥/١٨.

(٢١٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧٥/١٨.

(٢١٤) تفسير اللباب في علوم الكتاب ٤٩٨/١٠.

(٢١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣٤٧/١١.

(٢١٦) مجاز القرآن ٥٦/١ و٤١٠.

(٢١٧) الكشف والبيان في تفسير القرآن ٦٨/٢.

([٢١٨]) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، المكتب الإسلامي لطباعة، دمشق، ١٩٦٤م.

([٢١٩]) إعراب القرآن ٢/٤٦٦.

([٢٢٠]) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥.

([٢٢١]) أنوار التنزيل ٣/٣١.

([٢٢٢]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١١/٣٤٧.

([٢٢٣]) معالم التنزيل ٣/٥٠.

([٢٢٤]) زاد المسير في علم التفسير ٥/٧٣.

([٢٢٥]) إعراب القرآن ٢/٤٦٦.

([٢٢٦]) إعراب القرآن ٢/٤٦٦.

([٢٢٧]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/٢٨٦.

([٢٢٨]) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥.

([٢٢٩]) أنوار التنزيل ٣/٣١.

([٢٣٠]) معالم التنزيل ٣/٥٠.

([٢٣١]) زاد المسير في علم التفسير ٥/١٧٣.

([٢٣٢]) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٥١.

([٢٣٣]) معالم التنزيل ٣/١٢٠.

([٢٣٤]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥/٩٩.

([٢٣٥]) مدارك التنزيل ١/٢٨٦.

([٢٣٦]) الميزان في تفسير القرآن ٥/٣٣٣.

([٢٣٧]) الكشف والبيان في تفسير القرآن ٥/٨٠.

([٢٣٨]) المفردات في غريب القرآن ٥٢٤.

([٢٣٩]) الميزان في تفسير القرآن ٥/٣٢٨.